جامعة القصيم
Qassim University
كلية العلوم والآداب بعنيزة
College of Science and Arts in Unaizah

كرسي الشيخ ابن عثيمين للدراسات الشرعية

السجل العلمي

لمؤتمر الشيخ العلامة

عبدالرحمن بن ناصر السعدي

آثاره العلمية والدعوية

الجزء الرابع

الأربعاء والخميس
٢٣-٢٤ ربيع الأول ١٤٤١

(4)

الجمع بين الأقوال عند السعدي سورة فاطر أنموذجا

د. فاطمة عبد الغفار إبراهيم الحاج

الرعاة
مصرف الإنماء
alinma bank
سبكيم
Sipchem
EXCELLENCE everywhere
القاضي

الجمع بين الأقوال عند السعدي

- سورة فاطر أنموذجاً -

الدكتورة فاطمة عبدالغفار إبراهيم الحاج

الأستاذ المشارك بقسم القرآن وعلومه

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، بجامعة القصيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، محمد بن عبد الله الهادي الأمين ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن استن بسنته إلى يوم الدين .

أما بعد :

فإن الله تعالى أنزل القرآن الكريم على الرسول ﷺ، وتعهد بحفظه من التحريف والتبديل، قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [1]، قيض الله سبحانه وتعالى علماء أجلاء لتفسير هذا القرآن، وبيان فهم معانيه وفقاً لشروط وضوابط التفسير بعد أن عكفوا على دراسة هذا الكتاب العظيم ومن هؤلاء المفسرين الشيخ الجليل عبد الرحمن بن ناصر السعدي ـ رحمه الله ـ الذي يُعد من أعلام المفسرين المتأخرين، صاحب كتاب - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - الذي يعد عمدة في التفسير، وامتاز بأمور كثيرة منها على سبيل المثال لا الحصر، سهولة العبارة، ووضوحها، وتجنب الحشو والتطويل الذي لا فائدة منه، ودقة الاستنباط فيما تدل عليه الآيات من الفوائد، والأحكام والحكم، واهتمامه بعلوم القرآن كأسباب النزول، والمناسبات وغيرها من الأنواع، وبيان المقاصد التي ترمي إليها الآيات، وجمعه للأقوال عند الاختلاف في بيان معنى الآية، ولهذا الشيخ الجليل جهود كبيرة في خدمة كتاب الله ؛ لذا رأيت أن أكتب بحثاً بعنوان :

(الجمع بين الأقوال عند السعدي - سورة فاطر أنموذجاً -) من باب إسداء الفضل لأهله، وإبراز جهود الشيخ - رحمه الله -.

(١) سورة الحجر الآية (٩) .

سبب اختيار البحث :

١ـ المشاركة في مؤتمر :الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي ،آثاره ومنهجه في الاجتهاد والتجديد والدعوة، والذي تنظمه كلية العلوم والآداب في عنيزة .

٢ـ إبراز جهود الشيخ السعدي في خدمة القرآن.

٣ـ حاجة الناس لمعرفة المعنى المراد من الآية ؛ عند وجود أكثر من قول فيها.

مشكلة البحث :

١ـ ما مواضع الجمع بين الأقوال عند الشيخ السعدي في سورة فاطر؟

٢ـ ما مدى موافقة الجمع بين الأقوال عند الشيخ السعدي ؟

٣ـ ما القول الجامع الذي يبين معنى الآية عند اختلاف الأقوال، وعناية الشيخ السعدي به؟

أهمية البحث : تكمن أهمية البحث في معرفة :

١ـ الجهود التي بذلها الشيخ السعدي ـ رحمه الله ـ في الجمع بين الأقوال.

٢ـ حاجة الناس لمعرفة القول الجامع لمعاني الآيات .

٣ـ أهمية جمع الأقوال عند الشيخ السعدي .

أهداف البحث : يهدف هذا البحث إلى :

١ـ بيان مواضع الجمع بين الأقوال عند الشيخ السعدي في سورة فاطر .

٢ ـ بيان موافقة الجمع بين الأقوال عند الشيخ السعدي .

٣ـ إبراز عناية الشيخ السعدي بالجمع بين الأقوال .

منهج البحث :

المنهج الذي انتهجته لكتابة هذا البحث هو المنهج الاستقرائي التحليلي، متمثلاً في النقاط التالية:

أ- إجراءات الدراسة التطبيقية :

١- حصر الأقوال التي فيها اختلاف عند السلف من كتب التفسير بالمأثور، حصراً على تفسير ابن جرير الطبري، وتفسير ابن أبي حاتم،، وزاد المسير لابن الجوزي .

٢- دراسة الأقوال من كتب التفسير بصورة موجزة .

٣- الجمع بين الأقوال عند السعدي، وبيان موافقة الجمع بين الأقوال عنده .

إجراءات الدراسة المنهجية :

١- كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني، مع ذكر السورة ورقم الآية في المتن.

٢- تخريج الأحاديث بعزوها إلى الصحيحين إن كان فيهما، أو في أحدهما، وإن كان في غيرهما فبعزوها إلى مصدرها،مع بيان حكم أهل العلم فيها .

٣- توثيق النقول من مصادرها الأصلية .

خطة البحث :يتكون هذا البحث من مقدمة، وفصلين، وخاتمة،وفهرس للمصادر والمراجع .

وذلك على النحو التالي: **المقدمة**: وفيها أسباب اختيار البحث، ومشكلته، وأهمية البحث، وأهدافه، وحدوده،، ومنهج البحث، وإجراءاته، وخطة البحث :

الفصل الأول : الدراسة النظرية، وفيها مبحثان .

المبحث الأول : مفهوم الاختلاف عند السلف في التفسير، وبيان أنواعه .

المبحث الثاني : أقسام اختلاف التنوع، وبيان حكمه من حيث القبول والترجيح.

الفصل الثاني : الدراسة التطبيقية على مواضع الاختلاف في سورة فاطر، والتي جمع السعدي بين أقوالها.

الخاتمة :وفيها أهم النتائج، وأبرز التوصيات.

القسم الأول: الدراسة النظرية، وفيها مبحثان.

المبحث الأول: مفهوم الاختلاف عند السلف في التفسير، وبيان أنواعه

أولاً: مفهوم الاختلاف لغة واصطلاحاً.

* الاختلاف في اللغة:

قال الراغب الأصفهاني: «الاختلاف والمخالفة: أن يأخذ كل واحد طريقا غير طريق الآخر في حاله أو قوله، والخلاف أعم من الضد، لأن كل ضدين مختلفان، وليس كل مختلفين ضدين».[1] فإن كلمة الخلاف أو الاختلاف في لغة العرب يُرادُ بها مُطلقُ المغايرة والتباين بين شيئين، سواء نشأ عن هذه المغايرة تناقضٌ وتضادٌ أم لا.

* الاختلاف في الاصطلاح:

قال الجرجاني: هو منازعة تجري بين متعارضين؛ لتحقيق حق أو لإبطال باطل[2].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود:١١٨]» لفظ الاختلاف في القرآن إنما ورد بمعنى المغايرة وعدم التماثل -سواء كان هناك تناقضٌ وتعارضٌ أم لا- إذ هو شامل للخلاف بنوعيه، ولم تأتِ الكلمة في القرآن لغير هذا المعنى، بخلاف كلمة (خلاف) التي تحتمل أكثر من معنى، ولا يتحدد المقصود منها إلا بالسياق. ولا يعني هذا وجوب التفريق بينهما في كل حال، وإنما هي إشارة إلى مفهوم اللفظين والمراد بهما في القرآن، أمّا ما يجري في كلام العلماء من استعمال كلٍ منهما موضع الآخر فلا إشكال فيه، والناظر في استعمال العلماء

(١) المفردات (١/ ٢٩٤) مادة (خلف).

(٢) التعريفات، (ص:١٠١).

لكلمتي الخلاف والاختلاف لا يجدُ أثراً لتلك الفوارق المذكورة؛ إذ يجري التعبير بالكلمتين عن معنى واحد[1]»؛ وعلى هذا يمكن القول بأن الخلاف والاختلاف يراد به المغايرة في القول أو الرأي أو الهيئة أو الموقف.

ثانياً: مفهوم كلمة السَّلَف.

*كلمة السَّلَف لغة: قال ابن فارس: «سلف، السين واللام والفاء أصل يدل على تقدم وسبق. من ذلك السلف: الذين مضوا. والقوم السلاف: المتقدمون»[2]

وقال الراغب الأصفهاني: «السلف: المتقدم، قال تعالى:

﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ﴾ [الزُّخرُف:٥٦]، أي: معتبرا متقدما، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٧٥]، أي: يتجافى عما تقدم من ذنبه»[3].

فتبيّن: أن كلمة السلف في لغة العرب تعني من مضى أو تقدم.

* كلمة السَّلَف اصطلاحًا:

يقول المصطفى ﷺ: "خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم"[4].

فالسلف هم: الصحابة والتابعون وتابعو التابعين ممن التزم الكتاب والسنة، ولم يتلبس بالبدعة.

---

(١) ينظر مثلا: تفسير الطبري (١/ ٦٥-٤٨-١٣١)،وتفسير ابن كثير (١/ ٣٥-٧٢).وغير ذلك كثير.

(٢) مقاييس اللغة (٣/ ٩٥)، مادة (سلف)، لسان العرب (٩/ ١٥٨).

(٣) المفردات (١/ ٤٢٠) مادة (سلف).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ٥/ ٣٠٦ (٢٦٥٢)؛ ومسلم في صحيحه ٦/ ٦٨ (٢٥٣٣).

ثالثاً: مفهوم كلمة التفسير * كلمة التفسير لغة:

هو الإيضاح والبيان، ومنه قوله تعالى﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[الفرقان:٣٣]،قال السعدي «جامعا للحق في معانيه والوضوح والبيان التام في ألفاظه»[١]. قال الراغب الأصفهاني:» والتفسير قد يقال فيما يختص بمفردات الألفاظ وغريبها، وفيما يختص بالتأويل، ولهذا يقال: تفسير الرؤيا وتأويلها، قال تعالى:﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[الفرقان:٣٣][٢]. فكلمة التفسير في لغة العرب تعني الكشف والبيان.

***كلمة التفسير اصطلاحاً:**

عرفه الزركشي بتعريف جامع شامل، فقال:» علمٌ يُفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه»[٣].

وعرفه ابن عثيمين بقوله:» بيان معاني القرآن الكريم»[٤]

وهذا التعريف أشار السعدي إليه بمعناه في مقدمة تفسيره[٥]

***مصطلح اختلاف المفسرين:**

هو تعدد روايات المفسرين في معنى الكلمة الواحدة والموضع الواحد، سواءً كان هذا التعدد اختلاف تنوع أو اختلاف تضاد. فإن أمكن الجمع بين أقوال المفسرين؛ كان اختلاف تنوع، وهذا غالبٌ على تفاسيرهم رحمهم الله، وإن تعذر

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص٥٨٢).

(٢) المفردات (١/ ٦٣٦) مادة فسر.

(٣) البرهان في علوم القرآن (٢/ ١٤٨).

(٤)أصول في التفسير (ص٢٣).

(٥) تيسير الكريم الرحمن (ص٣٠).

الجمع، كان اختلاف تضاد، وهذا قليل.

أنواع الاختلاف :

أنواع الاختلاف في الأصل من حيث كون المعاني متنافية أو غير متنافية، فينقسم إلى قسمين:

الأول: اختلاف التَنَوُّع :وهو أن تحمل الآية على جميع ما قيل فيها إذا كانت معانٍ صحيحة غير متعارضة[(١)] .

قال ابن تيمية: «الخلاف بين السلف في التفسير قليل، وخلافهم في الأحكام أكثر من خلافهم في التفسير، وغالب ما يصح عنهم من الخلاف يرجع إلى اختلاف تنوع[(٢)] لا اختلاف تضاد»[(٣)] . ويشترط لقبولها جميعاً صحتها واحتمال الآية لها وعدم المنافاة بينها.

الثاني:اختلاف التضاد.

هما القولان المتنافيان بحيث لا يمكن القول بهما معاً، فإذا قيل بأحدهما لزم منه عدم القول بالآخر[(٤)] .

قال ابن عثيمين: «اختلاف اللفظ والمعنى، والآية لا تحتمل المعنيين معاً للتضاد بينهما، فتحمل الآية على الأرجح منهما بدلالة السياق أو غيره»[(٥)] . مثال الاختلاف في تعيين الظالم لنفسه، في قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُم

(١) فصول في أصول التفسير (ص:٠٨).

(٢) سيأتي التمثيل له في المبحث الثاني من الدراسة النظرية .

(٣) ينظر: مقدمة في أصول التفسير (ص:١١).

(٤) ينظر: فصول في أصول التفسير (ص:٠٨).

(٥) أصول في التفسير (ص:٩٢) .

مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ﴾ [فاطر: ٣٢].

القول الأول: هو صاحب الإجرام والصغائر من أمة محمدﷺ، وهو مرويّ عن ابن مسعود، وكعب الأحبار، وأبي إسحاق السبيعي[(١)]، وعثمان بن عفان، وعائشة بنت أبي بكر، وابن عباس، ومحمد ابن الحنفية[(٢)].

القول الثاني: أنه ليس من هذه الأمة، وهو الكافر، وهو مرويّ عن ابن عباس[(٣)]، وعكرمة مولى ابن عباس ومجاهد[(٤)].

القول الثالث: أنه ليس من هذه الأمة، وهو المنافق، وهو مرويّ عن الحسن البصري، وقتادة[(٥)].

فيُلحظ أن هناك تضاداً في المشار إليهم، ولا يمكن أن يحمل المراد على جميع الأقوال معاً.

وقد نوَّه الراغب الأصفهاني على الضابط الذي بتحققه يمكن الحكم بالتضاد، فقال: «الخبران اللذان أحدهما نفي والآخر إثبات إنما يتناقضان إذا استويا في الخبر والمخبر عنه، وفي المتعلق بهما، وفي الزمان والمكان، وفي الحقيقة والمجاز: فأما إذا اختلفا في واحد من ذلك فليسا بمتناقضين، نحو أن يُقال: زيد مالك، زيد ليس

---

(١) أخرجه الطبري عنهم في تفسيره (١٩/ ٣٦٨-٣٧٠).

(٢) أخرجه الطبري عنهما في تفسيره (١٩/ ٣٦٨-٣٧٠)، وأورده لهما ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣/ ١٦٦، ١٦٨).

(٣) أورده ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣/ ١٦٧).

(٤) أخرجه الطبري عنهما في تفسيره (١٩/ ٣٧١-٣٧٢).

(٥) أخرجه الطبري عنهما في تفسيره (١٩/ ٣٧٢).

بمالـك، وتريـد بأحد الزيديـن غير الآخر»[1]. **وقال الشـيخ السـعدي** : « واصطفى لهم دين الإسـلام، وأورثهم الكتاب المهيمن على سـائر الكتب، ولهذا قال: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ وهـم هـذه الأمـة. ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ﴾ بالمعاصـي، التـي هي دون الكفـر" وبعد أن أورد سـائر الصفات . قـال : "فكلهم اصطفـاه الله تعالى، لوراثة هذا الكتاب، وإن تفاوتـت مراتبهم، وتميزت أحوالهم، فلـكل منهم قسـط من وراثته، حتـى الظالم لنفسـه، فإن ما معه من أصـل الإيمان، وعلـوم الإيمـان، وأعمال الإيمان، مـن وراثة الكتاب، لأن المـراد بوراثة الكتاب، وراثة علمه وعمله، ودراسـة ألفاظه، واستخراج معانيه"[2]. **من خلال تفسير الشيخ لمعنـى الظالم** تبين أنه حمل الآية على أرجح الأقوال على سـبيل التعيين؛ لتحقق التضاد بين الأقوال، وهذا هو ما يعرف باختلاف التضاد عند أهل التفسير .

(١) مقدمة جامع التفاسير (ص٦٩).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص٦٨٩) .

المبحث الثاني: أقسام اختلاف التنوع، وبيان حكمه من حيث القبول والترجيح:

*** أنواع الاختلاف باعتبار أصول التفسير التي يعتمد عليها المفسر في تفسيره ثلاثة أنواع:**

أولاً: التفسير على اللفظ، وهو تفسير الكلمة بعينها أو بما يطابقها في لغة العرب، وهذا هو الأسلوب الذي تسلكه معاجم اللغة؛ ككتاب العين، وكتاب جمهرة اللغة.

ومن المفسرين الذين اهتموا بهذا الجانب في تفاسيرهم ابن جرير الطبري، وابن عطية، وابن عاشور، والسعدي، وغيرهم من المفسرين. قال ابن القيم: «المعهود من ألفاظ القرآن كلها أنها تكون دَالَّة على جملَة معان، فيعبر هذا عن بعضها، وهذا عن بعضها، واللفظ يجمع ذلك كله»[(١)]. وقال أيضاً في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾ [الطور: ٦]: «وأقوى الأقوال في المسجور أنه الموقد، وهذا هو المعروف في اللغة من المسجور، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦] قال علي وابن عباس: أوقدت فصارت ناراً، ومن قال: يبست وذهب ماؤها، فلا يناقض كونها ناراً موقدة، وكذا من قال: ملئت، فإنها تملأ ناراً»[(٢)]. **قال السعدي**: «أي: أوقدت، فصارت -على عظمها- نارا تتوقد.»[(٣)]. **فتفسيره باللفظ موافق لما قاله ابن عباس.**

ثانياً: التفسير على المعنى وهو: بيان المراد بالآية، دون النظر إلى تحرير

---

(١) جلاء الأفهام (ص٣٠٨).

(٢) التبيان في أقسام القرآن (٢٦٩-٢٧٠).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص٨١٣).

الألفاظ في اللغة؛ أي أن المفسر لا يلتزم بيان المفردات اللغوية، بل يذهب إلى المعنى المراد، ولو بألفاظ غير مطابقة لألفاظ الآية[1]. وهو ويُدخل أهل العلم تحته: التفسير بالجزء من المعنى أو المثال واللازم). **والسعدي** من المفسرين الذين اهتموا بهذا الجانب في تفاسيرهم.

مثاله تفسير السلف لقوله تعالى: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾[البقرة:١٩١] قالوا: المعنى، الشرك أشد من القتل؛ وهذا القول مروي عن مجاهد وقتادة وغيرهم[2]، **قال السعدي**:» أخبر تعالى أن المفسدة بالفتنة عنده بالشرك، والصد عن دينه، أشد من مفسدة القتل،..»[3]، مع أن أصل لفظة الفتنة تدل على الابتلاء والاختبار[4]، ففسروا على المعنى.

النوع الثالث: التفسير على القياس والاعتبار والإشارة، وهو أن يرى المفسر معنى آخر غير المعنى الظاهر، ربما تحتمله الآية، ولكنه لايظهر للعامة من الناس، وإنما يظهر لخاصتهم، ولمن منحهم الله الفهم والإدراك، ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر والمراد أيضاً[5]. **ومثاله**: ما رواه ابن عباس، أن عمر بن الخطاب ﷺ سألهم عن قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾[النصر:١]. قالوا: فتح المدائن والقصور. قال: فأنت يا ابن عباس، ما تقول؟ قلت: مَثَلٌ ضُرِب لمحمد ﷺ، نُعِيت

---

(١) ينظر: التفسير اللغوي (ص:٦٥٥).

(٢) أخرجه عنهم الطبري في تفسيره (٣/ ٥٦٦).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص٨٩).

(٤) لسان العرب (١٣/ ٣١٧).

(٥) تأويلات أهل السنة (١/ ٢٨١)؛ مناهل العرفان في علوم القرآن (٢/ ٧٨).

إليه نفسه[1]. قال السعدي: «إن في ذلك إشارتين: إشارة لأن يستمر النصر لهذا الدين، ويزداد عند حصول التسبيح بحمد الله واستغفاره من رسوله، فإن هذا من الشكر، والله يقول: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ وقد وجد ذلك في زمن الخلفاء الراشدين وبعدهم في هذه الأمة، لم يزل نصر الله مستمرًا، حتى وصل الإسلام إلى ما لم يصل إليه دين من الأديان، ودخل فيه ما لم يدخل في غيره. وأما الإشارة الثانية، فهي الإشارة إلى أن أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قرب ودنا، ووجه ذلك أن عمره عمر فاضل أقسم الله به»[2].

*** أنواع الاختلاف من حيث رجوع الأقوال إلى معنى واحد، أو أكثر من معنى.**

القسم الأول: ما ترجع فيه الأقوال إلى معنى واحد، وفيه ثلاثة أنواع.

الأول: اختلاف اللفظ والمعنى، مع اتحاد المسمى، وهو أن تتعدد أقوال المفسرين في الموضع الواحد، وكل قول من هذه الأقوال يختلف معناه عن الآخر، وتكون متفقة من حيث دلالتها على المعنى.

وقد ذكر ابن تيمية في مقدمته هذا النوع، فقال: «أن يعبر كل واحد منهم عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه، تدل على معنى في المسمى غير المعنى الآخر، مع اتحاد المسمى بمنزلة الأسماء المتكافئة التي بين المترادفة والمتباينة، كما قيل في اسم السيف: الصارم والمهند، وذلك مثل أسماء الله الحسنى، وأسماء رسوله صلى الله عليه وسلم وأسماء القرآن.»[3] وقد يكون الاسم علماً وقد يكون صفة،

---

(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤/ ٦٦٨-٦٦٩)؛ وأخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ [النصر: ٢]، (٦/ ١٧٩) ح: ٤٩٦٩.

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص٩٣٦).

(٣) ينظر: مقدمة في أصول التفسير (ص: ١١-١٤) بتصرف.

كمن يسأل عن قوله ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي ﴾ [طه:١٢٤]

قال السعدي :» أي: كتابي الذي يتذكر به جميع المطالب العالية«(١)،فسواء قيل: ذكري كتابي أو كلامي أو هداي أو نحو ذلك، كان المسمى واحدًا.

الثاني: أن يكون في اللفظ المفسر عموم، فيذكر مفسر فرداً من أفراد العموم، ويذكر غيره فرداً آخر، و يدخل فيه التفسير بالمثال،وتعدد أسباب النزول(٢).

مثاله قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ [فاطر:٣٢]

فمعلوم أن الظالم لنفسه يتناول المضيع للواجبات، والمنتهك للمحرمات، والمقتصد يتناول فاعل الواجبات وتارك المحرمات، والسابق يدخل فيه من سبق، فتقرب بالحسنات مع الواجبات، فالمقتصدون هم أصحاب اليمين قال تعالى:﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ ﴾[الواقعة:١٠-١١]،ثم إن كلاً منهم يذكر هذا في نوع من أنواع الطاعات، كقول القائل: السابق الذي يصلي في أول الوقت، والمقتصد الذي يصلي في أثنائه، والظالم لنفسه الذي يؤخر العصر إلى الاصفرار.

ويقول الآخر: والناس في الأموال إما محسن، وإما عادل، وإما ظالم، فالسابق المحسن بأداء المستحبات مع الواجبات. والظالم آكل الربا أو مانع الزكاة، والمقتصد الذي يؤدي الزكاة المفروضة، ولا يأكل الربا، وأمثال هذه الأقاويل(٣).

وقال السعدي: «﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ ﴾

---

(١) تيسر الكريم الرحمن (ص٥١٥) .

(٢) ينظر: مقدمة في أصول التفسير (ص:١٥-١٧) بتصرف؛ وينظر: التفسير اللغوي (ص:١٩٢-١٩٣)؛ معالم التنزيل في تفسير القرآن (١/ ١٣).

(٣) ينظر: مقدمة في أصول التفسير (ص:١٥) .

بالمعاصي، التي هي دون الكفر. ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ مقتصر على ما يجب عليه، تارك للمحرم. ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ أي: سارع فيها واجتهد، فسبق غيره، وهو المؤدي للفرائض، المكثر من النوافل، التارك للمحرم والمكروه"[1].نجد كل مفسر ذكر معنى للمذكورين في الآية، وليس المقصود هذا المعنى فقط دون غيره، إنما هو مثال لعمل من أعمال المسلمين يقع فيه ظلم للنفس أو اقتصاد أو سبق في الخيرات[2].

الثالث: التعبير عن المعاني بألفاظ متقاربة :وهو أن يعبر كل مفسر عن المعنى المراد للفظة أو الآية بعبارة غير عبارة صاحبه، مع اتحاد المعنى، ولا يمكن للمفسر أن يأتي بمثل الكلمة القرآنية في مقامها، إنما هو تقريب للمعنى المراد[3].

قال السعدي :» قال تعالى:﴿ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴾[الطور:٩]أي: تدور السماء وتضطرب، وتدوم حركتها بانزعاج وعدم سكون، إذ أن من معاني المور الحركة والدوران.

(١) تيسر الكريم الرحمن (ص٦٨٩) .

(٢) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ١٦).

(٣) مقدمة في أصول التفسير (ص:١٧-١٨) .

القسم الثاني: ما يكون فيه اللفظ محتمل لأمرين، إما للتواطؤ أو للاشتراك.

النوع الأول: المتواطئ :وهو ما اتحد لفظه ومعناه، ولكنه يختلف باختلاف السياق والإضافة[(١)].

وينقسم المتواطئ إلى ثلاثة أنواع:

الأول: في الضمير الذي يحتمل رجوعه إلى شيئين.

الثاني: في أسماء الجنس، كالعصر والفجر.

الثالث: في الأوصاف، ويشملُ التواطؤ، الأوصاف التي تَحتملُ أكثرَ من وصفٍ؛ كالنَّازعات، والخُنَّس، والغاشية، والعادِيات، وغيرها.

مثال لأسماء الجنس : اختلاف أهل التأويل في معنى كلمة ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾ [العصر:١]على قولين:

الأول: قيل هو ساعة من ساعات النهار، عن ابن عباس[(٢)].

الثاني: وقيل هو العشي، عن الحسن[(٣)].

قال السعدي :أقسم تعالى بالعصر، الذي هو الليل والنهار[(٤)].

وهذا المثال من المتواطئ الذي يجمع فيه الأقوال، على أن الله تعالى أقسم بالعصر، والعصر اسم للدهر، وهو العشي، والليل والنهار[(٥)]، **وهذا ما قاله السعدي.**

(١) ينظر: فصول في أصول التفسير (ص:١٠٨) ؛ ومصطلحات في كتب العقيدة (ص٢٢٢)؛ شرح الرسالة التدمرية (ص:٣٠٣)؛ الموسوعة الفقهية الكويتية (٤/ ٣١٠).

(٢) خرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤/ ٥٨٩) .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤/ ٥٨٩) .

(٤) تيسير الكريم الرحمن (ص٩٣٤) .

(٥) ينظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٦١٢) .

الثاني: المشترك :وهو ما اتحد لفظه واختلف معناه، كالعين تستعمل للعين الجارية، والعين الباصرة، وللجاسوس[1].

مثاله: قال تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التوبة:٨]فقد ورد عن السلف في معنى «الإل» أربعة أقوال:الأول: قيل: هو الله، وهذا القول مروي عن مجاهد، وأبي مجلز[2].

الثاني: القرابة، وهذا القول مروي عن ابن عباس، والضَّحاك، والسُدِّي[3].

الثالث: العهد، وهذا القول مروي عن مجاهد، وعبد الرحمن بن زيد[4].

الرابع: الحلف، وهذا القول مروي عن قتادة[5].

قال السعدي :﴿لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾"أي: لا ذمة ولا قرابة[6].

قال الطبري بعد ذكره للأقوال في هذه الآية:« والإل: اسم يشتمل على معانٍ ثلاثة: وهي العهد والعقد، والحلف، والقرابة، وهو أيضاً بمعنى الله. فإذ كانت الكلمة تشمل هذه المعاني الثلاثة، ولم يكن الله خصَّ من ذلك معنى دون معنى، فالصواب أن يعم ذلك، كما عمَّ بها جل ثناؤه، معانيها الثلاثة، فيقال: لا يرقبون في مؤمن الله، ولا قرابةً، ولا عهداً، ولا ميثاقاً»[7].**وقول السعدي موافق للطبري .**

---

(١) ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية (٤/ ٣١٠) ؛ شرح الرسالة التدمرية (ص:٣٠٣)؛ تفسير جزء عم للدكتور مساعد الطيار (ص:١٢)؛ فصول في أصول التفسير (ص:٨٨)؛ التعريفات (ص:٢٧٤) .

(٢) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (١٤/ ١٤٦) .

(٣) أخرجه عنهم الطبري في تفسيره (١٤/ ١٤٦-١٤٧) .

(٤) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (١٤/ ١٤٨) .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٤/ ١٤٧) .

(٦) تيسير الكريم الرحمن (ص٣٢٩) .

(٧) ينظر: تفسير الطبري (١٤/ ١٤٨)

حكم أنواع الاختلاف من حيث قبول الأقوال أو الترجيح:

إذا وُجد أنواع الاختلاف السابقة لابد أن يُنظر في الأقوال؛ فإذا كانت الأقوال مستوية في القبول، ويمكن الجمع بينها، فحكمها أن تُقبل جميعها في الآية، بأن تُحمل عليها كلّها عن طريق الجمع.

وأما إذا وُجدت قرينة تدلّ على أنّ أحد الأقوال أولى، بالقبول من غيره، أو منع مانع من دخوله في الآية، فهنا لا بد من الترجيح لبيان الأولى لا لبطلان غيره.

قال الشيخ الشنقيطي: «تقرَّر عند العلماء أن الآية إن كانت تحتمل معانٍ كلها صحيح، تعيَّن حملها على الجميع، كما حققه بأدلة الشيخ تقي الدين أبو العباس ابن تيمية في رسالته في علوم القرآن»[1].

(١) أضواء البيان (٣/ ١٢٤).

الفصل الثاني: الدراسة التطبيقية.

الموضع الأول: الاختلاف في معنى فاطر السموات والأرض.

قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر: ١].

أولاً: الروايات الواردة عن السلف. الروايات الواردة عن السلف في معنى فاطر يجمعها ثلاثة أقوال:

القول الأول: مبتدؤها. وهذا القول مرويّ عن ابن عباس[(١)].

القول الثاني: بديع السماوات والأرض. وهذا القول مرويّ عن ابن عباس[(٢)].

القول الثالث: خالق السماوات والأرض. وهذا القول مرويّ عن الضحاك[(٣)]، وقتادة[(٤)].

ثانيًا: دراسة الأقوال. من خلال النظر في أقوال السلف السابقة، يتبيّن ما يأتي:

القول الأول: وهو المبتدئ في الخلق؛ هو من باب التفسير على اللفظ.

قال به عدد من المفسرين كابن قتيبة، والزجاج، والواحدي[(٥)]. واستشهد هؤلاء بقول ابن عباس ﷺ "ما كنت أعرف معنى فطر، حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر

---

(١) أورده له ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣/ ١٥١)، وابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٥٠٥).

(٢) أورده له ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣/ ١٥١).

(٣) أورده له ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣/ ١٥١).

(٤) أخرجه الطبري عنه في تفسيره (١٩/ ٣٢٦)، وأورده ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣/ ١٥١).

(٥) ينظر: غريب القرآن (ص١٥١)، معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٦١)، الوجيز (١/ ٨٨٩).

فقال أحدهما: أنا فطرتها"[1].

القول الثاني: وهو البديع؛ أي ابتدع خلق السماوات والأرض من غير مثال، وأبدع في خلقهما وتصويرهما، قال البيضاوي:»مبدعهما من الفطر بمعنى الشق؛ كأنه شق العدم بإخراجهما منه، والإضافة محضة؛ لأنه بمعنى الماضي«[2].

القول الثالث:وهو الخالق، أي موجد السماوات والأرض من العدم؛ وهو من باب التفسير على اللفظ. قال به أبو عبيدة، والماتريدي[3].

الجمع بين الأقوال عند السعدي :

قال السعدي :» يمدح الله تعالى نفسه الكريمة المقدسة، على خلقه السماوات والأرض، وما اشتملتا عليه من المخلوقات، لأن ذلك دليل على كمال قدرته، وسعة ملكه، وعموم رحمته، وبديع حكمته، وإحاطة علمه.«[4].

موافقة الجمع بين الأقوال عند الشيخ السعدي:

إن الشيخ السعدي جمع بين الأقوال ؛ إذ هي متوافقة من حيث المعنى الدال على اللفظ، فالخلق من غير مثال سابق، يقتضي الابتداء والابتداع في الشيء، ففسره كل واحد من السلف بما رآه الأقرب للمعنى، والشيخ السعدي جمع بينها؛إذ أن الاختلاف في الأقوال بين السلف من اختلاف التنوع ؛ من باب التفسير على اللفظ، والتفسير بجزء من المعنى لأن سببها العموم في لفظ (فاطر)؛ وهذا يؤكد عناية الشيخ واهتمامه بأقوال السلف في التفسير، والنظر إلى موافقتها لبيان معنى الآية -والله أعلم.

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، باب طلب العلم والعلم إذا أُطلق (٣/ ٢١٢).

(٢) أنوار التنزيل (٤/ ٢٥٣).

(٣) ينظر: مجاز القرآن (١/ ١٨٧)، تأويلات أهل السنة (٨/ ٤٦٦-٤٦٥).

(٤) تيسير الكريم الرحمن (ص٦٨٤).

الموضع الثاني: الاختلاف في المراد بالزيادة في الخلق.

قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر: ١].

أولاً: الروايات الواردة عن السلف. الروايات الواردة عن السلف في المراد بالزيادة في الخلق يجمعها خمسة أقوال:

القول الأول: الزيادة في أجنحة الملائكة وخلقهم. وهذا القول مرويّ عن ابن عباس[(١)]، والسدي[(٢)].

القول الثاني: أنه يزيد في الأجنحة ما يشاء. وهذا القول مروي عن الحسن، ومقاتل[(٣)].

القول الثالث: أنه الخلق الحسن. وهذا القول مروي عن الحسن.

القول الرابع: الزيادة: هي حسن الصوت. وهذا القول مرويّ عن محمد بن شهاب الزهري[(٤)].

القول الخامس: الملاحة في العينين، هذا القول مروي عن قتادة[(٥)].

ثانياً: دراسة الأقوال.

يقول الله ﷻ: ﴿يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾ بعد ذكره للملائكة في قوله ﴿جَاعِلِ

---

(١) أورده ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٥٠٥)

(٢) أورده له ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣/ ١٥٢).

(٣) أورده ابن الجوزي (٣/ ٥٠٥).

(٤) أورده له ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣/ ١٥٢)، وابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٥٠٥).

(٥) أورده ابن الجوزي (٣/ ٥٠٥).

﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾،فذهب بعض السلف كالسُّدي بأن الزيادة تابعة للملائكة، استناداً إلى السياق، وذهب البعض الآخر إلى التخصيص، كتفسير الزهري لها بـ:حسن الصوت، وقيل: هي الملاحة في العينين، وقيل: في الجمال والكمال والدمامة، وقيل: العقل والتمييز، وقيل: العلوم والصنائع، وقيل: الخط الحسن[(١)]، وغيرها، وبعد النظر في أقوال السلف السابقة، يتبيّن ما يأتي:القولان الأول والثاني: وهو أن الزيادة في خلقة الملائكة وأجنحتهم،فهي لا تنتهي عند الأربع؛ وهو تفسير على ظاهر الآية وسياقها، فتكون الزيادة متعلقة بالعدد في قوله: ﴿مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾.

وقد رجح هذا القول الماتريدي، والسمعاني، واختاره عدد من المفسرين، كالفراء، والزجاج، والواحدي[(٢)]، وغيرهم.

قال الفراء:»هذافي الأجنحة التي جعلها لجبريل وميكائيل»[(٣)]، واستدلوا ببعض الآثار الواردة، كالذي جاء عن ابن مسعودﷺ: أنه[(٤)] »رأى جبريل، له ستمائة جناح»[(٥)].

أما الأقوال الثالث والرابع والخامس :الخلق الحسن،وحسن الصوت،

(١) ينظر: بحر العلوم (٣/ ٩٩)، الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ٣٢٠)، الدر المنثور (١٢/ ٢٥١).

(٢) ينظر: تأويلات أهل السنة (٨/ ٤٦٦)، تفسير السمعاني (٤/ ٣٤٥)، معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٦٦)، معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٦١)، الوجيز (ص٨٨٩).

(٣) معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٦٦).

(٤) أي محمد ﷺ.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب: بدء الخلق، باب: إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء، آمين، فوافقت إحداهما الأخرى، غفر له ما تقدم من ذنبه،(٤/ ١١٥)، ح٣٢٣٢، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: في ذكر سدرة المنتهى(١/ ١٥٨)، ح١٧٤. الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ٣٢٠).

والملاحة في العينين فهي تفسير بالتخصيص، من باب المثال على الزيادة التي يتفضل الله بها على من شاء من خلقه، فتكون سمة تميزهم عن غيرهم[1].

الجمع بين الأقوال عند السعدي :

قال السعدي :» يزيد بعض مخلوقاته على بعض، في صفة خلقها، وفي القوة، وفي الحسن، وفي زيادة الأعضاء المعهودة، وفي حسن الأصوات، ولذة النغمات.«[2].

موافقة الجمع بين الأقوال عند الشيخ السعدي:

إن الشيخ السعدي جمع بين هذه الأقوال ؛ إذ هي متوافقة من حيث المعنى الدال على اللفظ، فالزيادة في الخلق والأعضاء من باب التفسير على اللفظ، والزيادة في الخلق الحسن، وحسن الصوت، والملاحة، من باب التفسير بالمثال، وأن الاختلاف في الأقوال من اختلاف التنوع ؛ والشيخ السعدي جمع بينها لأن جميعها داخلة في المعنى، بسبب العموم في قوله: ﴿يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾.وهذا يؤكد عناية الشيخ واهتمامه بأقوال السلف في التفسير، والنظر إلى موافقتها لبيان معنى الآية ؛ لذا جمع بينها -والله أعلم.

الموضع الثالث: الاختلاف في المراد بالغرور.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ [فاطر:٥].

أولاً: الروايات الواردة عن السلف. الروايات الواردة عن السلف في المراد بالغَرور،يجمعها قولان:

---

(١) بحر العلوم (٣/ ٩٩).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص٦٨٤).

القول الأول: الشيطان. وهذا القول مرويّ عن ابن عباس[(١)].

القول الثاني: الغرّة بالله: أن يكون العبد في معصية الله ويتمنى على الله المغفرة. وهذا القول مرويّ عن سعيد بن جبير[(٢)].

ثانيًا: دراسة الأقوال.

الغرّة: الغفلة، والغارّ بالتشديد الغافل، وقيل: الغَرور الشيطان[(٣)]، ومن خلال النظر في أقوال السلف السابقة، يتبيّن ما يأتي: **القول الأول**: الشيطان، فهو بمثابة السبب الذي يغرّ الإنسان ويمنّيه، وجميع تزيينه وغرّته، ليست من شيء، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء: ١٢٠].

وقد قال به جمعٌ من المفسرين والطبري، والماتريدي، والسمرقندي، والبغوي، وابن عطية، وابن الجوزي، والقرطبي، والنسفي، وابن كثير[(٤)]. ومما يدل على ذلك: **أولاً**: دلالة السياق، فقد فُسرت هذه الآية بقوله: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [سورة فاطر: ٣٥] **ثانيًا**: قول ابن عباس ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾، يقول: الشيطان"[(٥)]. وقد اكتفى بعضهم بأن المراد بالغَرور:

---

(١) أخرجه الطبري عنه في تفسيره (١٩/ ٣٣١).

(٢) أورده له ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣/ ١٥٣).

(٣) ينظر: مختار الصحاح (١/ ٢٢٥)، لسان العرب (٥/ ١٢-١١).

(٤) ينظر: جامع البيان (١٩/ ٣٣١)، تأويلات أهل السنة (٨/ ٤٧٠)، بحر العلوم (٣/ ١٠٠)، معالم التنزيل (٣/ ٦٨٨)، المحرر الوجيز (٤/ ٤٢٩)، زاد المسير (٣/ ٤٣٦)، الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ٣٢٣)، مدارك التنزيل (٣/ ٧٧)، تفسير القرآن العظيم (٦/ ٥٣٤).

(٥) أورده البخاري لمجاهد في صحيحه، كتاب الرقائق، باب ـ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝٥ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٥-٦] (٨/ ٩٢)، ما قبل ح ٦٤٣٢.

هو الشيطان، بينما ذهب البعض الآخر لتفسير صورة غرّته، كتفسير سعيد بن جبير في القول الثاني.

الجمع بين الأقوال عند السعدي :

قال السعدي :» قوله تعالى:﴿ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾هو الشَّيْطَانُ ؛الذي هو عدوكم في الحقيقة ﴿فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾أي: لتكن منكم عداوته على بال، ولا تهملوا محاربته كل وقت، فإنه يراكم وأنتم لا ترونه، وهو دائما لكم بالمرصاد.."[1] .

موافقة الجمع بين الأقوال عند الشيخ السعدي:

إن الشيخ السعدي جمع بين القولين ؛ إذ هما متوافقان من حيث المعنى الدال على اللفظ، فجعله في كلمة واحدة، وهي أن الغرور المراد به : الشيطان، وفسّر هذا القول على الاسم العام للغَرور ومسببه، وهو الشيطان، وأدخل فيه ضمناً القول الثاني؛ إذ أن الشيطان، وتغريره للإنسان هو تزيينه للمعاصي وتمنيه المغفرة من الله،وأن الاختلاف في الأقوال من اختلاف التنوع ؛، والشيخ السعدي جمع بينهما في كلمة واحدة ؛ لأن القول الثاني داخل في المعنى، بسبب الإجمال في لفظ: ﴿ٱلْغَرُورُ ﴾؛ وهذا يؤكد عناية الشيخ واهتمامه بأقوال السلف في التفسير، والنظر إلى موافقتها لبيان معنى الآية، وصياغتها بعبارة تفيد كلا القولين. -والله أعلم.

الموضع الرابع : الاختلاف في المراد بسوء العمل.

قال تعالى:﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [فاطر:٨].

أولاً: الروايات الواردة عن السلف.الروايات الواردة عن السلف في المراد بسوء العمل يجمعها قولان:

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص٦٨٤) .

القول الأول: سوء العمل: هو معاندة الرسول ﷺ، حيث يزين الشيطان عمل أهل الملل؛ من اليهود والنصارى والمجوس. وهذا القول مرويّ عن أبي قلابة الجرمي[(١)].

القول الثاني: هي الضلالات التي يزينها الشيطان. وهذا القول مرويّ عن الحسن، وقتادة[(٢)].

ثانيًا: دراسة الأقوال. من خلال النظر في أقوال السلف السابقة، يتبيّن ما يأتي:

القول الأول: وهو أن سوء العمل: معاندة النبي ﷺ من قِبل أهل الملل؛ كاليهود والنصارى والمجوس، أي بمعنى كفرهم به وتكذيبهم بدينه، وهو تفسير بالمثال.

القول الثاني: وهي أنها الضلالات، والضلال: ضد الرشاد[(٣)]، ويدخل فيها تزيينه للكفار من سائر الملل، وأهل البدع والأهواء، وأصحاب المعاصي.

فيقال بذلك: أنها للكفار بصورة أولية، ويدخل فيها من شابههم في الضلال، ومن زيّن لهم الشيطان عملهم السيء، من هوى ومعصية، وغيرها، وذلك لعدة أمور منها: **أولاً**: أن العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب[(٤)].

ثانيًا: دلالة السياق في قوله: ﴿يُضِلُّ﴾، والضلالة: ضد الرشاد، ومن أضلهم الله هم الذين زّين لهم الشيطان، ثم أتبعها بقوله: ﴿مَن يَشَآءُ﴾ فيها دلالة على العموم.

قال الطبري: «أفمن حسن له الشيطان أعماله السيئة من معاصي الله والكفر به،

---

(١) أورده ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣/ ١٥٣-١٥٤)، وابن الجوزي في تفسير (٣/ ٥٠٦).

(٢) أخرجه الطبري عنهما في تفسيره (١٩/ ٣٣٤)، وأورده ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣/ ١٥٤).

(٣) ينظر: مختار الصحاح (ص١٨٥).

(٤) ينظر: قواعد الترجيح (ص ٥٤٥).

وعبادة ما دونه من الآلهة والأوثان، فرآه حسناً، فحسب سيئ ذلك حسناً، وظن أن قبحه جميل، لتزيين الشيطان ذلك له»[1].

الجمع بين الأقوال عند السعدي :قال السعدي :» قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ ﴾ عمله السيء، القبيح، زينه له الشيطان، وحسنه في عينه.»[2]

موافقة الجمع بين الأقوال عند الشيخ السعدي:

إن الشيخ السعدي جمع بين القولين ؛ إذا هما متوافقان من حيث المعنى الدال على اللفظ؛ حيث بين معنى العمل السيء؛ بأنه هو العمل القبيح الذي يزينه الشيطان للإنسان ويحسنه في عينه، وبالنظر إلى أقوال السلف السابقة ؛بأن العمل السيء هو :معاندة الرسول ﷺ، حيث يزين الشيطان عمل أهل الملل؛ من اليهود والنصارى والمجوس، ويتبين من هذا القول أن الشيطان هو السبب، وهذا من التفسير بالمثال، **وقيل**:هي الضلالات،وهي ارتكاب المعاصي والآثام، والعمل السيئ القبيح، وهي أيضاً بسبب تزيين الشيطان، وهذا من التفسير على العموم الذي يشمل القول الأول، يتضح مما سبق أن الاختلاف في الأقوال من اختلاف التنوع ؛ لذا نجد الشيخ السعدي جمع بين القولين، اللذين سببهما العموم في قوله: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ ﴾، والاختلاف في عود الضمير، مع حذف المتعلق، بعبارة موجزة جامعة مانعة، وهي أن العمل القبيح الذي يزينه الشيطان للإنسان ويحسنه في عينه؛ وهذا يؤكد عناية الشيخ بالتفسير بالمثال، واهتمامه بأقوال السلف في التفسير؛ والنظر إلى موافقتها لبيان معنى الآية، وصياغتها بعبارة تفيد كلا القولين.

- والله أعلم -

---

(١) جامع البيان (١٩/ ٣٣٣).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص٦٨٥).

الموضع الخامس: الاختلاف في المراد بالكلم الطيب

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾ [فاطر: ١٠].

أولاً: الروايات الواردة عن السلف. الروايات الواردة عن السلف في المراد بالكلم الطيب يجمعها أربعة أقوال:

القول الأول: هو قول: سبحان الله وبحمده، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، وتبارك الله. وهذا القول مرويّ عن ابن مسعود، وكعب الأحبار[(١)].

القول الثاني: هو: ذكر الله. وهذا القول مرويّ عن ابن عباس[(٢)].

القول الثالث: هو: القرآن. وهذا القول مرويّ عن شهر بن حوشب[(٣)].

القول الرابع: هو: الدعاء. وهذا القول مرويّ عن مطر الوراق[(٤)].

ثانيًا: دراسة الأقوال. قال العلماء في هذه الأقوال ما يأتي:

قال ابن عطية: «أي التوحيد والتمجيد وذكر الله ونحوه... والطيب الذي يستحسن سماعه الاستحسان الشرعي»[(٥)]، ووافقه كثير من المفسرين[(٦)].

---

(١) أخرجه الطبري عنهما في تفسيره (١٩/ ٣٣٨-٣٣٩)، وأورده ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٥٠٧).

(٢) أخرجه الطبري عنه في تفسيره (١٩/ ٣٣٩)، وابن أبي حاتم -كما في الإتقان - (٢/ ٣٨).

(٣) أورده له ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣/ ١٥٦).

(٤) أورده له ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣/ ١٥٦).

(٥) المحرر الوجيز (٤/ ٤٣١).

(٦) أنوار التنزيل (٤/ ٢٥٥)، التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٧٢)، البحر المحيط (٩/ ١٨)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ٥٣٦).

الجمع بين الأقوال عند السعدي :

قال السعدي :» في قوله تعالى:﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾ من قراءة وتسبيح وتحميد وتهليل، وكل كلام حسن طيب"[1] .

موافقة الجمع بين الأقوال عند الشيخ السعدي :

إن الشيخ السعدي جمع بين الأقوال؛ إذ هي متوافقة من حيث المعنى الدال على اللفظ؛ حيث ذكر القراءة، ويقصد بها قراءة القرآن، وكذلك التحميد والتسبيح والتهليل وهذا يدخل في ذكر الله، والكلام الحسن الطيب يشمل الدعاء، وغيره من كل كلام طيب يقوله العبد المؤمن وفق مرضاة الله تعالى.يتضح مما سبق أن الاختلاف في الأقوال من اختلاف التنوع ؛ فلو أمعنا النظر نجد هذا التفسير الذي ذكره السعدي لبيان معنى الكلم الطيب جمع كل الأقوال التي ذكرها السلف،ويعد هذا النوع من الاختلاف من التفسير بالمثال الذي سببه العموم ؛ فلفظ الكلم الطيب عام يدخل فيه كل ما ذُكر ؛ وهذا يؤكد عناية الشيخ بالتفسير بالمثال، واهتمامه بأقوال السلف في التفسير ؛ والنظر إلى موافقتها لبيان معنى الآية، وجمعها بعبارة تفيد جميع الأقوال. -والله أعلم.

الموضع السادس: الاختلاف في معنى البوار.

قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾ [فاطر: ١٠].

أولاً: الروايات الواردة عن السلف. الروايات الواردة عن السلف في معنى البوار يجمعها أربعة أقوال:

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص٦٨٥).

القول الأول: لا يصعد. وهذا القول مرويّ عن شهر بن حوشب[(١)].

القول الثاني: يَفسُد. وهذا القول مرويّ ؤ قتادة[(٢)].

القول الثالث: يهلك. وهذا القول مرويّ عن السدّي[(٣)].

القول الرابع: يضّر ولا ينفع. وهذا القول مرويّ عن ابن زيد[(٤)].

ثانيًا: دراسة الأقوال.

البائر في اللغة: الفاسد الذي لا خير فيه، والبوار: الهلاك، وبار عمله: بطل، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾، والبائر الكاسد[(٥)]، ومن خلال النظر في أقوال السلف السابقة، يتبيّن ما يأتي:

القول الأول: والذين هم المراؤون، عملهم لا يصعد؛ لفساده وعدم إخلاصه، وهذا تفسير بالمعنى.

أما القول الثاني: وهم مرتكبوا السيئات، فعملهم يَفسُد ولا يصح، وهو من باب التفسير على اللفظ.

والقول الثالث: أي أن عمل هؤلاء المكره يهلك، فليس لهم ثواب في الآخرة إلا النار؛ وهذا من التفسير على اللفظ.

أما القول الرابع: أي إن هؤلاء المشركين، ضرّهم عملهم ولم ينفعهم، وهو من التفسير بالمعنى.

(١) أخرجه الطبري عنه في تفسيره (١٩/ ٣٤١)، وأورده ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣/ ١٥٦).

(٢) أورده له ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣/ ١٥٧)، وابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٥٠٨).

(٣) أورده له ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣/ ١٥٧)، وابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٥٠٨).

(٤) أخرجه الطبري عنه في تفسيره (١٩/ ٣٤٠-٣٤١)، وأورده ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣/ ١٥٦-١٥٧).

(٥) ينظر: مختار الصحاح (ص٤١)، لسان العرب (٤/ ٨٦).

قال الطبري: «يبور، فيبطل فيذهب؛ لأنه لم يكن لله، فلم ينفع عامله»[1]. وقال السمرقندي:» يعني: شرك أولئك، وفسقهم، وصنيعهم، يهلك صاحبه في الآخرة، يقال: بارت السلعة إذا كسدت، لأنها إذا كسدت فقد تعرضت للهلاك»[2]. وقال القرطبي: «ويقال: بار يبور إذا هلك وبطل، وبارت السوق؛ أي كسدت»[3].

الجمع بين الأقوال عند السعدي :

قال السعدي :» في قوله تعالى: ﴿وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ أي: يهلك ويضمحل، ولا يفيدهم شيئا، لأنه مكر بالباطل، لأجل الباطل."[4].

موافقة الجمع بين الأقوال عند الشيخ السعدي :

إن الشيخ السعدي جمع بين الأقوال ؛ إذ هي متوافقة من حيث المعنى الدال على اللفظ؛ حيث فُسّر معنى البوار بناء على اختلاف الأقوال في المشار إليهم بمكر السيئات في الآية، وهو في الإجمال يدور حول الهلاك والفساد والبطلان، الذي يصيب مكر هؤلاء، وهذا ما أشار إليه السعدي في قوله ؛ فيتبين بذلك توافق الأقوال من حيث المعنى، حيث إنها تدور حول معنى الكساد والهلاك والبطلان وعدم الانتفاع من هذا العمل؛ وما ورد من تعدد معانٍ هو بسبب الإجمال في اللفظ، و يتضح مما سبق أن الاختلاف في الأقوال من اختلاف التنوع،وجمع بينها السعدي؛ وهذا يؤكد عنايته، واهتمامه بأقوال السلف في التفسير ؛ والنظر إلى موافقتها لبيان معنى الآية، وجمعها بعبارة تفيد جميع الأقوال. والله أعلم.

---

(١) جامع البيان (١٩/ ٣٤١).

(٢) بحر العلوم (٣/ ١٠٢).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ٣٣٢).

(٤) تيسير الكريم الرحمن (ص٦٨٥).

الموضع السابع: الاختلاف في المراد بالأزواج.

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر:١١].

أولاً: الروايات الواردة عن السلف. الروايات الواردة عن السلف في المراد بالأزواج، يجمعها قولان:

القول الأول: زوج بعضكم بعضاً. وهذا القول مرويّ عن قتادة[(١)].

القول الثاني: ذكراناً وإناثاً. وهذا القول مرويّ عن السدّي[(٢)].

ثانياً: دراسة الأقوال.

الزوج: البعل، والزوج: أيضا المرأة، وقيل: يعني ذكراً وأنثى، وكل واحد منهما يسمى زوجاً، ذكراً كان أو أنثى، والأزواج: القرناء والنظراء والضرباء، والزوج: ضد الفرد، والزوج: الصنف من كل شيء[(٣)]. قال الماتريدي: «أي: خلقكم من ذلك ذكراً وأنثى؛ ليسكن بعضه إلى بعض، أو جعلكم أزواجاً أصنافاً»[(٤)]. وقال ابن عطية: «قيل معناه أنواعاً، وقيل أراد تزويج الرجال النساء»[(٥)]. وقال الشوكاني: «أي:

---

(١) أخرجه الطبري عنه في تفسيره (١٩/ ٣٤٢)، وأورده ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣/ ١٥٧)، وابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٥٠٨).

(٢) أورده السيوطي في الدر وعزاه إلى ابن أبي حاتم (١٢/ ٢٦٢-٢٦٣)، وابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٥٠٨).

(٣) ينظر: مختار الصحاح (ص١٣٨)، لسان العرب (٢/ ٢٩١-٢٩٣).

(٤) تأويلات أهل السنة (٨/ ٤٧٤).

(٥) المحرر الوجيز (٤/ ٤٣٢).

زوج بعضكم ببعض، فالذكر زوج الأنثى، أو جعلكم أصنافاً ذكراناً وإناثاً»[1].

الجمع بين الأقوال عند السعدي :

قال السعدي :» في قوله تعالى:﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ أي: لم يزل ينقلكم، طورا بعد طور، حتى أوصلكم إلى أن كنتم أزواجا، ذكرا يتزوج أنثى.«[2].

موافقة الجمع بين الأقوال عند الشيخ السعدي

إن الشيخ السعدي جمع بين القولين؛ إذ هما متوافقان من حيث المعنى الدال على اللفظ؛ إذ أن الاختلاف الوارد في الأقوال من باب الاشتراك في اللفظ، وكلاهما صحيح ودالّ على المعنى، حيث إن الله Uخلق الزوج من جنسيّ الذكر والأنثى، وزوج بعضهم بعضاً، يتضح مما سبق أن الاختلاف في الأقوال من اختلاف التنوع، وهذا ما أشار إليه السعدي في قوله ؛ فيتبين بذلك توافق القولين من حيث المعنى، وما ورد من تعدد معانٍ، هو بسبب الاشتراك اللفظي، وهذا يؤكد عناية السعدي، واهتمامه بأقوال السلف في التفسير ؛ والنظر إلى موافقتها لبيان معنى الآية، وجمعها بعبارة تفيد كلا القولين. والله أعلم.

الموضع الثامن: الاختلاف في المراد بالقطمير.

قال تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر:١٣].

أولاً: الروايات الواردة عن السلف. الروايات الواردة عن السلف في المراد بالقطمير يجمعها قولان:

---

(١) فتح القدير للشوكاني (٤/ ٣٩٢).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص٦٨٥).

القول الأول: قشر النواة وهذا القول مرويّ عن ابن عباس، ومجاهد[(١)]، وعطية، وقتادة[(٢)].

القول الثاني: القمع[(٣)] وهو رأس التمرة وهذا القول مرويّ عن الضحاك[(٤)].

ثانيًا: دراسة الأقوال. من خلال النظر في أقوال السلف السابقة، يتبيّن ما يأتي:

القول الأول: أن القطمير: هو القشر أو الجلد الذي يكون على نوى التمرة.

هذا القول رجحه ابن عطية، والثعالبي، واختاره الطبري، والزجاج، والواحدي، وعزاه القرطبي إلى أكثر المفسرين[(٥)].

قال ابن عطية: «والقطمير: القشرة الرقيقة التي على نوى التمرة هذا قول الناس الحجة»، ثم قال عنه: وهو «أشهر وأصوب»[(٦)]. قال القرطبي: «والقطمير القشرة الرقيقة البيضاء التي بين التمرة والنواة، قاله أكثر المفسرين»[(٧)]، وبمثله

---

(١) أخرجه الطبري عنهما في تفسيره (١٩/ ٣٤٩-٣٥٠)، وأورده ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣/ ١٦٠)، وابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٥٠٨)

(٢) أخرجه الطبري عنهما في تفسيره (١٩/ ٣٥٠).

(٣) القِمَعُ والقِمْعُ: ما على التمرة والبسرة. (قمع) لسان العرب (٨/ ٢٩٥). ويعني به الجزء الموجود في رأس التمرة والمتصل بالغصن.

(٤) أورده السيوطي في الدر وعزاه إلى الطبري (١٢/ ٢٧٠)، وهو عند الطبري، من طريق جويبر عن بعض أصحابه دون ذكر الضحاك (١٩/ ٣٥٠).

(٥) ينظر: المحرر الوجيز (٤/ ٤٣٤)، الجواهر الحسان (٤/ ٣٨٥)،، جامع البيان (١٩/ ٣٤٩)، معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٦٦)، الوسيط (٣/ ٥٠٣)، الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ٣٣٦).

(٦) المحرر الوجيز(٤/ ٤٣٤).

(٧) الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ٣٣٦).

قال الثعلبي[(١)] .

وأما القول الثاني: والذي يقول بأن القطمير هو قمع التمر، ويعني به الجزء الموجود في رأس التمرة والمتصل بالغصن. لم أقف على من رجحه أو اختاره من المفسرين .

الجمع بين الأقوال عند السعدي :

قال السعدي :» في قوله تعالى: ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾ أي: لا يملكون شيئا، لا قليلاً ولا كثيراً، حتى ولا القطمير الذي هو أحقر الأشياء، وهذا من تنصيص النفي وعمومه، فكيف يُدْعَوْنَ، وهم غير مالكين لشيء من ملك السماوات والأرض؟»[(٢)] .

موافقة الجمع بين الأقوال عند الشيخ السعدي

إن الشيخ السعدي جمع بين القولين؛ إذ هما متوافقان من حيث المعنى الدال على اللفظ؛ إذ أن الاختلاف الوارد في القولين من باب التمثيل، وكلاهما صحيح ودالّ على المعنى، مع أن جمهور المفسرين رجحوا القول الأول، ولم يذكروا شيئاً عن القول الثاني،يتضح مما سبق أن الاختلاف في الأقوال من اختلاف التنوع ؛، إلا أن السعدي جمع بينهما، بما يدل عليهما المعنى ؛سواءً القول الأول الذي قال هو قشر النواة، أو القول الثاني الذي قال هو القمع، وهو رأس التمرة ؛ فكلا القولين ذُكرا على سبيل التمثيل للشيء القليل والحقير،وهذا ما ذهب إليه السعدي في قوله ؛ فيتبين بذلك توافق الأقوال من حيث المعنى، وما ورد من تعدد معانٍ، هو الإجمال في اللفظ، وهذا يؤكد عناية السعدي، واهتمامه بأقوال السلف في التفسير ؛

---

(١) ينظر: الكشف والبيان (٨/ ١٠٣).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص٦٨٥).

والنظر إلى موافقتها لبيان معنى الآية، وجمعها بعبارة تفيد كلا القولين. والله أعلم.

الموضع التاسع: الاختلاف في المراد بالعلماء.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر:٢٨].

أولاً: الروايات الواردة عن السلف. الروايات الواردة عن السلف في المراد بالعلماء، يجمعها ثلاثة أقوال:

القول الأول: العالم: من خشي الله، وهذا القول مرويّ عن ابن مسعود، وصالح بن أبي مريم[٣]، والحسن[٤]، وقتادة[٥].

القول الثاني: العالم: هو الذي يعلم أن الله على كل شيء قدير، وهذا القول مرويّ عن ابن عباس[٦].

القول الثالث: إن العلماء ثلاثة: عالم بالله وبأمره: هو الذي يخشاه ويعلم حدوده وفرائضه، وعالم بالله ليس عالمًا بأمره: هو الذي يخشاه ولا يعلم حدوده وفرائضه، وعالم بأمر الله وليس عالمًا به: هو الذي يعلم حدوده وفرائضه، ولا يخشاه.

وهذا القول مرويّ عن رجل من طريق أبي حيّان التيمي[٧].

ثانيًا: دراسة الأقوال. من خلال النظر في أقوال السلف السابقة، يتبيّن ما يأتي:

---

(٣) أورده لهما ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣/ ١٦٤-١٦٥).

(٤) أورده ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣/ ١٦٥).

(٥) أخرجه الطبري عنه في تفسيره (١٩/ ٣٦٤).

(٦) أخرجه الطبري عنه في تفسيره (١٩/ ٣٦٤)، وأورده ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣/ ١٦٤).

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم عنه في تفسيره (١٣/ ١٦٥).

فالقول الأول: إن العالم: هو الخاشي له معرفة به؛ فكلما كانت المعرفة بالله أكثر، كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل، فكانت الخشية له أعظم وأكثر[(١)]، وهذا من التفسير بالمعنى؛فيكون التقدير: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ به، وهو الأشهر في تفسير الآية.

قال الطبري: "العلماء بقدرته على ما يشاء من شيء، وأنه يفعل ما يريد؛ لأن من علم ذلك أيقن بعقابه على معصيته؛ فخافه ورهبه خشية منه أن يعاقبه"[(٢)]، وهذا جامع بين القولين الأول والثاني.

قال ابن تيمية:" قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ يقتضي أن كل من خشي الله فهو عالم، فإنه لا يخشاه إلا عالم، ويقتضي أيضاً: أن العالم من يخشى الله، كما قال السلف"[(٣)].

وفي القول الثالث: قال ابن عطية:"﴿إِنَّمَا﴾ في هذه الآية تخصيص العلماء، لا للحصر، وهي لفظة تصلح للحصر، وتأتي أيضاً دونه...،وهذه الآية بجملتها دليل على الوحدانية والقدرة، والقصد بها إقامة الحجة على كفار قريش"[(٤)].

الجمع بين الأقوال عند السعدي :

قال السعدي :" في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ فكل من كان بالله أعلم، كان أكثر له خشية، وأوجبت له خشية الله، الانكفاف عن المعاصي، والاستعداد للقاء من يخشاه، وهذا دليل على فضيلة العلم، فإنه داع إلى خشية الله،

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ٥٤٤).

(٢) جامع البيان (١٩/ ٣٦٤).

(٣) مجموع الفتاوى (١٤/ ٢٩٢).

(٤) المحرر الوجيز (٤/ ٤٣٧).

وأهل خشيته هم أهل كرامته.»[1].

موافقة الجمع بين الأقوال عند الشيخ السعدي :

إن الشيخ السعدي رجح القول الأول، وإن كان القول الثاني والثالث يدخلان ضمناً في المعنى، إذ هما متوافقان من حيث المعنى الدال على اللفظ، وفي القول الثالث نجد أن المفسر فَرّق بما يراه بين العلم بالله، والعلم بأمره حال اجتماعهما في العالم وتفرقهما فيه ؛ فيتبين بذلك اهتمام السعدي وعنايته بأقوال المفسرين ؛ فهي تشمل العلماء، والمدار بينها خشية الله؛ فالذين يعلمون أن الله على كل شيء قدير، يورثهم علمهم به خشيته٧، وهذا أعلى مراتب العلم في حال اجتماعه بمعرفة حدوده، كما في القول الثالث-وقدم القول الأول لكونه الأقرب لدلالة لفظ الآية، لما يلي: **أولاً**: دلالة السياق؛ لذكر الخشية في قوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا﴾ **ثانياً**: تأييد السنة له. ما رُوي عن النبيﷺ أنه قال:"فضل العالم على العابد، كفضلي على أدناكم"، ثم تلا هذه الآية ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا﴾"[2] **ثالثاً**:هو اختيار جمهور المفسرين، قال ابن كثير:»والخشية خلاصة الإيمان والعلم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا﴾"[3]. يتضح مما سبق أن الاختلاف في الأقوال من اختلاف التنوع ؛ والذي رجح فيه السعدي القول الأول على القولين الآخرين -والله أعلم-.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص٦٨٨).

(٢) أخرجه الدارمي مرسلاً عنهﷺ من طريق مكحول، باب من قال: العلم: الخشية وتقوى الله(١/ ٣٣٤)، والترمذي عن أبي أمامةرضي الله عنهموصولاً دون ذكر الآية، في كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة (٥/ ٥٠) ح٢٦٨٥، وصححه الألباني في المشكاة (٢/ ٧٤).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ١٦٥).

الموضع العاشر الاختلاف في المراد بالمقتصد.

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ فاطر: ٣٢].

أولاً: الروايات الواردة عن السلف. الروايات الواردة عن السلف في المراد بالمقتصد، يجمعها ثلاثة أقوال:

القول الأول: من اتّبع آثار النبي ﷺ وصحبه الذين شُهد لهم بالجنة. وهذا القول مرويّ عن عائشة[(١)].

القول الثاني: هو صاحب اليمين. وهذا القول مرويّ عن ابن عباس[(٢)]، ومجاهد وقتادة[(٣)].

القول الثالث: المتوسط في الطاعات، ومن هو على إثر السابقين. وهذا القول مرويّ عن الضحاك[(٤)].

ثانيًا: دراسة الأقوال.

القصد في الشيء: خلاف الإفراط، وهو ما بين الإسراف والتقتير، وقوله: ﴿وَمِنْهُم﴾، ومن خلال النظر في هذه الأقوال، يتبيّن أن جميعها من باب التمثيل، لا على سبيل الحصر والتخصيص، ومما يؤيد ذلك:

أولاً: كثرة الأقوال الواردة في تفسير اللفظ، دلالة على اتساع مدلولاته، فقد قيل في المراد به ما يفوق الأربعين قولاً، مبثوثة في كتب التفسير، جمع السمرقندي

(١) أورده ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣/ ١٦٦-١٦٧).

(٢) أورده ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣/ ١٦٧).

(٣) أخرجه الطبري عنهما في تفسيره (١٩/ ٣٧١-٣٧٣).

(٤) أخرجه الطبري عنه في تفسيره (١٩/ ٣٧٣).

والثعلبي بعضاً منها، ومن ذلك: أن المقتصد:هوالذي سره وعلانيته سواء، وقيل: هو الذي تهيأ للصلاة بعد دخول وقتها، وقيل: هو الذي يطلب قوته ولا يطلب الزيادة، وإلخ[1]، وقيل: المؤدي للواجبات، التارك للمحرمات، وقد يترك بعض المستحبات، ويفعل بعض المكروهات[2]، وقيل: الذي استوت حسناته وسيئاته[3].

الجمع بين الأقوال عند السعدي :

قال السعدي :» في قوله تعالى:﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ مقتصر على ما يجب عليه، تارك للمحرم..«[4].

موافقة الجمع بين الأقوال عند الشيخ السعدي.

إن الشيخ السعدي جمع بين الأقوال بعبارة جامعة مانعة تحمل على كل الأقوال التي ذكرت،ويتضح مما سبق أن الاختلاف في الأقوال من اختلاف التنوع،ونجد أن شيخ الإسلام ابن تيمية مثّل بهذه الآية على النوع الثاني من تقسيمه لاختلاف التنوع، وهو ذكر الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل[5]. وبإمعان النظر في الأقوال،يُلاحظ أنها غير متنافية، بل كلٌ ذكر نوعاً مما تناولته الآية؛ لتعريف المستمع وتنبيهه به على نظيره[6]، والمتأمل فيها يجد أنها تدور حول معنى واحد: وهو أن المقتصد: هو القائم بأداء الواجبات وترك المحرمات،وهذا ما ذهب إليه

(١) ينظر: بحر العلوم (٣/ ١٠٧-١٠٩)، الكشف والبيان (٨/ ١٠٨-١١١).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ٥٤٦).

(٣) الوسيط للواحدي (٣/ ٥٠٥).

(٤) تيسير الكريم الرحمن (ص٦٨٩).

(٥) ينظر: مقدمة في أصول التفسير (ص١٤-١٥).

(٦) ينظر: مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية (ص١٥-١٦)، مجموع الفتاوى (٥/ ١٦٢).

السعدي في بيان معنى المقتصد ؛ وهذا يؤكد عناية السعدي،واهتمامه بأقوال السلف في التفسير ؛ والنظر إلى موافقتها لبيان معنى الآية، وجمعها بعبارة تحمل على جميع الأقوال. والله أعلم.

الموضع الحادي عشر: الاختلاف في المراد بالسابق في الخيرات.

قال تعالى ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ۖ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ۖ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ [فاطر:٣٢].

أولاً: الروايات الواردة عن السلف. الروايات الواردة عن السلف في المراد بالسابق في الخيرات، يجمعها أربعة أقوال:

القول الأول: من مضى في عهد النبيﷺ، فشهد له بالجنة. وهذا القول مرويّ عن عائشة[(١)].

القول الثاني: المجاهد في سبيل الله. وهذا القول مرويّ عن عثمان بن عفان[(٢)].

القول الثالث: المستكثر من الطاعات. وهذا القول مرويّ عن مجاهد[(٣)].

القول الرابع: المقرّب. وهذا القول مرويّ عن قتادة[(٤)].

ثانيًا: دراسة الأقوال. من خلال النظر في هذه الأقوال، يتبيّن أن جميع الأقوال في المراد بالسابق في الخيرات،من باب التمثيل، لا على سبيل الحصر والتخصيص.

---

(١) أورده ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣/ ١٦٦-١٦٧).

(٢) أورده ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣/ ١٦٧).

(٣) أخرجه الطبري عنه في تفسيره (١٩/ ٣٧١-٣٧٢).

(٤) أخرجه الطبري عنه في تفسيره (١٩/ ٣٧٢-٣٧٣).

ومما يؤيد ذلك:

أولاً: كثرة الأقوال الواردة في تفسير اللفظ، دلالة على اتساع مدلولاته، وقد قيل في المراد به ما يفوق الأربعين قولاً، مبثوثة في كتب التفسير،جمع السمرقندي والثعلبي بعضاً منها، ومن ذلك: أن السَّابق هو الذي ترك الدنيا، وقيل: هو الذي رجحت حسناته على سيئاته، وقيل: هو الذي تهيأ للصلاة قبل دخول وقتها، وإلخ[(١)]، وقيل: هو: الفاعل للواجبات والمستحبات، التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات[(٢)]، وقيل :السابق: من رجحت حسناته على سيئاته[(٣)].

الجمع بين الأقوال عند السعدي :

قال السعدي :» في قوله تعالى:﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ أي: سارع فيها واجتهد، فسبق غيره، وهو المؤدي للفرائض، المكثر من النوافل، التارك للمحرم والمكروه..«[(٤)].

موافقة الجمع بين الأقوال عند الشيخ السعدي:

إن الشيخ السعدي جمع بين الأقوال بعبارة جامعة مانعة تحمل على كل الأقوال التي ذُكرت، ونجد أن شيخ الإسلام ابن تيمية مثّل بهذه الآية على النوع الثاني من تقسيمه لاختلاف التنوع، وهو ذكر الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل[(٥)]،ويتضح مما سبق أن الاختلاف في الأقوال من اختلاف التنوع ؛. وبإمعان

---

(١) ينظر: بحر العلوم (٣/ ١٠٧-١٠٩)، الكشف والبيان (٨/ ١٠٨-١١١).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ٥٤٦).

(٣) فتح القدير (٤/ ٤٠١).

(٤) تيسير الكريم الرحمن (ص٦٨٩).

(٥) ينظر: مقدمة في أصول التفسير (ص١٤-١٥).

النظر في الأقوال، يُلحظ أنها غير متنافية، بل كلٌ ذكر نوعاً مما تناولته الآية؛ لتعريف المستمع وتنبيهه به على نظيره[1]، والمتأمل فيها يجد أنها تدور حول معنى واحد: وهو أن السابق: هو المسارع والمجتهد لأداء الواجبات والمكثر من النوافل، والتارك للمحرم والمكروه، وهذا ما ذهب إليه السعدي في بيان معنى السابق ؛ وهذا يؤكد عناية السعدي واهتمامه بأقوال السلف في التفسير ؛ والنظر إلى موافقتها لبيان معنى الآية، وجمعها بعبارة تحمل على جميع الأقوال. والله أعلم.

الموضع الثاني عشر: الاختلاف في معنى الحَزَن.

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٤].

أولاً: الروايات الواردة عن السلف. الروايات الواردة عن السلف في المراد بالحَزَن، يجمعها خمسة أقوال:

القول الأول: خوف النار. وهذا القول مرويّ عن ابن عباس[2]، والحسن[3].

القول الثاني: الحزن الذنوب السالفة. وهذا القول مرويّ عن ابن عباس[4].

القول الثالث: الحَزَن الموت. وهذا القول مرويّ عن عطية العوفي[5].

---

(١) ينظر: مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية (ص١٥-١٦)، مجموع الفتاوى (٥/ ١٦٢).

(٢) أخرجه الطبري عنه في تفسيره (١٩/ ٣٧٧)، وأورده ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣/ ١٦٩)، وابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٥١٣).

(٣) أخرجه الطبري عنه في تفسيره (١٩/ ٣٧٧).

(٤) أورده ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣/ ١٦٩)، وابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٥١٣).

(٥) أخرجه الطبري عنه في تفسيره (١٩/ ٣٧٨). وأورده ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٥١٣).

القول الرابع:التعب الذي كانوا فيه في الدنيا.وهذا القول مرويّ عن قتادة[1].

القول الخامس:الحَزَن الجوع.وهذا القول مرويّ عن عامر الشعبيّ[2]، وشِمْر بن عطية[3].

ثانيًا: دراسة الأقوال.

الحُزُن والحَزَن: نقيض الفرح، وهو خلاف السرور، وقوله: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ كل ما يحزن من حزن معاش أو حزن عذاب أو حزن موت، فقد أذهب الله عن أهل الجنة كل الأحزان[4].

وقال بذلك جمهور المفسرين منهم :السمعاني، والزمخشري، وابن عطية، وابن الجوزي، وأبو حيان، وابن كثير، وأبو السعود، والشوكاني[5].

وقد رجحه الطبري مستنداً إلى دلالة العموم شمول المعنى على جميع الأقوال، فقال:»وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء القوم الذين أكرمهم بما أكرمهم به أنهم قالوا حين دخلوا الجنة ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾، وخوف دخول النار من الحزن، والجزع من الموت من الحزن، والجزع من الحاجة إلى المطعم من الحزن، ولم يخصص الله إذ أخبر عنهم أنهم

---

(١) أخرجه الطبري عنه في تفسيره (١٩/ ٣٧٩) وأورده ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٥١٣).

(٢) أورده ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣/ ١٧٠).

(٣) أخرجه الطبري عنه في تفسيره (١٩/ ٣٧٨)، وأورده ابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٥١٣).

(٤) ينظر: لسان العرب (١٣/ ١١٢)

(٥) ينظر: تفسير السمعاني (٤/ ٣٦٠)، الكشاف (٣/ ٦١٤)، المحرر الوجيز (٤/ ٤٤٠)، زاد المسير (٣/ ٥١٣)، البحر المحيط (٩/ ٣٤)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ٥٥١)، إرشاد العقل السليم(٧/ ١٥٤)، فتح القدير للشوكاني (٤/ ٤٠٢).

حمدوه على إذهابه الحزن عنهم نوعا دون نوع، بل أخبر عنهم أنهم عنوا جميع أنواع الحزن بقولهم ذلك، وكذلك ذلك؛ لأن من دخل الجنة فلا حزن عليه بعد ذلك"(١).

الجمع بين الأقوال عند السعدي :

قال السعدي:» ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ وهذا يشمل كل حزن، فلا حزن يعرض لهم بسبب نقص في جمالهم، ولا في طعامهم وشرابهم، ولا في لذاتهم ولا في أجسادهم، ولا في دوام لبثهم، فهم في نعيم ما يرون عليه مزيداً، وهو في تزايد أبد الآباد"(٢).

موافقة الجمع بين الأقوال عند الشيخ السعدي:

إن الشيخ السعدي جمع بين الأقوال بعبارة جامعة تحوي كل ما ذكر من أقوال، وأن جميعها من باب التمثيل للمعنى العام، لا على سبيل الحصر والتخصيص ؛والحزن في هذه الآية اسم جنس يدخل تحته جميع أنواع الأحزان...ولا معنى يخصص شيئاً منها؛بنقص طعام أو شراب، أو نقص في الأبدان، أو غير ذلك،ويتضح مما سبق أن الاختلاف في الأقوال من اختلاف التنوع، ؛وهذا يؤكد عناية السعدي، واهتمامه بأقوال السلف في التفسير، والنظر إلى موافقتها لبيان معنى الآية، وجمع بينها لعموم اللفظ واشتماله لجميع أنواع الحزن. والله أعلم.

الموضع الثالث عشر: الاختلاف في معنى اللُّغُوب.

قال تعالى: ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر:٣٥].

(١) جامع البيان (١٩/ ٣٧٩).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٦٨٩).

أولاً: الروايات الواردة عن السلف. الروايات الواردة عن السلف في المراد في معنى اللُّغُوب يجمعها قولان:

القول الأول: الإعياء. وهذا القول مرويّ عن ابن عباس[(١)].

القول الثاني: الوَجَع. وهذا القول مرويّ عن قتادة[(٢)].

ثانيًا: دراسة الأقوال.

اللام والغين والباء أصل صحيح واحد، يدل على ضعف وتعب، واللُّغوب: التعب والإعياء[(٣)] ومن خلال النظر في هذه الأقوال، يتبيّن ما يأتي: **القول الأول:** وهو الإعياء، من باب التفسير على اللفظ.

والقول الثاني: الوجَع، وهو تفسير على المعنى؛ لكون الإعياء نتيجة له.

قال ابن عطية: «النصب: تعب البدن، واللغوب: تعب النفس اللازم عن تعب البدن»[(٤)]، ووافقه أبو حيان، والثعالبي[(٥)]. قال ابن الجوزي: «والنصب: التعب، واللغوب: الإعياء من التعب، ومعنى لغوب: شيء يلغب»[(٦)].

قال الرازي: «اللغوب الإعياء، والنصب هو السبب للإعياء، فإن قال قائل: إذا بين أنه لا يمسهم فيها نصب علم أنه لا يمسهم فيها لغوب، ولا ينفي المتكلم

---

(١) أخرجه الطبري عنه في تفسيره (١٩/ ٣٨١) بلفظ (العناء)، وأورده ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣/ ١٧١) بلفظ (الإعياء)، وابن الجوزي في تفسيره (٣/ ٥١٣).

(٢) أخرجه الطبري عنه في تفسيره (١٩/ ٣٨١).

(٣) ينظر: مقاييس اللغة (٥/ ٢٥٦)، مختار الصحاح (ص٢٨٣)، لسان العرب (١/ ٧٤٢).

(٤) المحرر الوجيز (٤/ ٤٤٠).

(٥) ينظر: البحر المحيط (٩/ ٣٤)، الجواهر الحسان (٤/ ٣٩٢).

(٦) زاد المسير (٣/ ٥١٣).

الحكيم السبب...،وعلى هذا فحسن الترتيب ظاهر، كأنه قال لا يمسنا مرض ولا دون ذلك، وهو الذي يعيا منه مباشرة»[1]. قال ابن كثير:» والنصب واللغوب: كل منهما يستعمل في التعب، وكأن المراد ينفي هذا وهذا عنهم أنهم لا تعب على أبدانهم ولا أرواحهم»[2].

الجمع بين الأقوال عند السعدي :

قال السعدي: "﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ أي: لا تعب في الأبدان ولا في القلب والقوى، وكذلك لا نصب أي لا هم ولا حزن"[3].

موافقة الجمع بين الأقوال عند الشيخ السعدي:

إن الشيخ السعدي جمع بين القولين ؛لأن كليهما صحيح ودال على المعنى؛ إذ أن اللغوب هو الفتور في الأبدان، والإعياء يكون في القوى والقلب ؛ وهذا نتيجة النصب والمشقة، فكأنه ينفي عنهم الأشد أولاً وهو النصب، ثم الثاني وهو الأقل من باب المبالغة بنفي مسِّه، ويتضح مما سبق أن الاختلاف في الأقوال من اختلاف التنوع، وهذا يؤكد عناية السعدي، واهتمامه بأقوال السلف في التفسير؛ والنظر إلى موافقتها لبيان معنى الآية، وجمعها بينهما للإجمال في اللفظ. والله أعلم.

---

(١) التفسير الكبير (٢٦/ ٢٤١-٢٤٢).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ٥٥٢).

(٣) تفسير السعدي (ص: ٦٨٩).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله وجوده تنال الدرجات، أحمده سبحانه بما منَّ علي بكتابة هذا البحث ؛ الذي توصلت فيه إلى عدد من النتائج والتوصيات وهي :

أولاً النتائج :

١- إن لتفسير السلف مكانة كبيرة، وشرف عظيم، إذ يعد تفسيرهم من أهم مراحل التفسير .

٢- إن الاختلاف في التفسير على نوعين ؛ اختلاف تنوع، واختلاف تضاد، وأغلب الاختلاف بين السلف من اختلاف التنوع .

٣- اهتمام الشيخ السعدي بالأقوال التفسيرية في تفسيره .

٤- عدم الإسهاب في الأقوال التفسيرية عند الشيخ السعدي .

٥- حرص الشيخ السعدي على الجمع بين الأقوال التفسيرية .

٦- اهتمام الشيخ السعدي بأنواع اختلاف التنوع، كالتفسير على اللفظ، والتفسير بالمعنى، والتفسير بالمثال، وغيرها من أنواع الاختلاف.

ثانياً التوصيات :

١- الاهتمام بالجمع بين الأقوال التفسيرية عند الشيخ السعدي .

٢- إبراز جهود الشيخ السعدي في التفسير؛ وذلك بكتابة بحوث في جميع العلوم التي تناولها في تفسيره، كالمقاصد القرآنية، والهدايات القرآنية، والاستنباط، واهتمامه بعلوم القرآن، وغيرها من العلوم التي برع فيها من خلال تفسيره .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

١ـ التعريفات ـ علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) ـ تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت -لبنان ـ الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م .

٢ـ إرشاد العقل السليم ـ أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ) ـالناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت .

٣ـ أصول في التفسير ـ محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ) ـ أشرف على تحقيقه: قسم التحقيق بالمكتبة الإسلامية ـ الناشر: المكتبة الإسلامية ـ الطبعة: الأولى،١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

٤ـ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ـ محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) ـ الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان ـ الطبعة: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م ـ

٥ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل ـ ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) ـ تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي ـ الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت ـ الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ ـ

٦ـ بحر العلوم أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ)

٧ـ البحر المحيط في التفسير ـ أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين ـ الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) ـ تحيق صدقي محمد جميل ـ الناشر: دار الفكر - بيروت ـالطبعة: ١٤٢٠ هـ .

٨ـ تأويلات أهل السنة ـ محمد بن محمد أبي منصور الماتريدي، تحقيق: الدكتور مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، ط. الأولى، سنة ١٤٢٦ هـ.

٩ـ التسهيل لعلوم التنزيل ـ أبو القاسم، محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، تحقيق: الدكتور

عبدالله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، ط. الأولى، سنة ١٤١٦هـ.

١٠- تفسير جزء عم للشيخ مساعد الطيار - د مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار - الناشر: دار ابن الجوزي - الطبعة: الثامنة، ١٤٣٠ هـ.

١١- تفسير القرآن - أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ) - تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم - الناشر: دار الوطن، الرياض - السعودية - الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

١٢- تفسير القرآن العظيم - أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير تحقيق: سامي سلامة دار طيبة، ط. الثانية، سنة ١٤٢٠هـ.

١٣- تفسير القرآن العظيم مسنداً عن الصحابة والتابعين - الحافظ أبي محمد عبد الرحمن ابن أبي حاتم الرازي تحقيق: أسعد الطيب مكتبة نزار مصطفى الباز، ط. الثالثة، سنة ١٤١٩هـ.

١٤- التفسير الكبير - أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط. الثالثة، سنة ١٤٢٠هـ.

١٥- التفسير اللغوي للقرآن الكريم: للدكتور مساعد الطيار، دار ابن الجوزي، ط. الأولى، سنة ١٤٣٢هـ.

١٦- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي): لعبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط. الأولى، سنة ١٤٢٠هـ.

١٧- جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري) - الطبعة المعتمدة-: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط. الأولى، سنة ١٤٢٠هـ.

١٨- الجامع لأحكام القرآن - أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتب

العلمية- بيروت، سنة ١٤١٣هـ.
١٩ـ جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام ـ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) ـ تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط ـ الناشر: دار العروبة - الكويت ـ الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ - ١٩٨٧ .
٢٠ـ الجواهر الحسان في تفسير القرآن (تفسير الثعالبي) ـ أبو زيد عبدالرحمن الثعالبي، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط.الأولى، سنة ١٤١٨هـ.
٢١ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور- جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي الناشر: دار الفكر ببيروت ـ
٢٢ـ زاد المسير في علم التفسير (تفسير ابن الجوزي) ـ جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط.الأولى، سنة ١٤٢٢هـ.
٢٣ـ شرح الرسالة التدمرية ـ محمد بن عبد الرحمن الخميس ـ الناشر: دار أطلس الخضراء ـ الطبعة: ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
٢٤ـ شعب الإيمان: لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: الدكتور عبدالعلي عبدالحميد حامد، مكتبة الرشد بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط.الأولى، سنة ١٤٢٣هـ.
٢٥ـ صحيح البخاري: للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير ابن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط.الأولى، سنة ١٤٢٢هـ.
٢٦ـ صحيح مسلم: للإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٢٧ـ غريب القرآن: لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، سنة ١٣٩٨هـ.
٢٨ـ فتح القدير: لمحمد بن علي الشوكاني اليَمَنِيّ، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب،

ط.الأولى، سنة ١٤١٤ هـ.
٢٩ـ فصول في أصول التفسير: للدكتور مساعد الطيار، دار ابن الجوزي، ط.الثانية، سنة ١٤٣٦هـ.
٣٠ـ قواعد الترجيح عند المفسرين - دراسة نظرية تطبيقية: للدكتور حسين الحربي، دار القاسم، ط.الأولى، سنة ١٤١٧هـ.
٣١ـ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ـ أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، دار الكتاب العربي - بيروت، ط.الثالثة، ١٤٠٧ هـ.
٣٢ـ الكشف والبيان عن تفسير القرآن: لأبي إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي تحقيق: الإمام أبي محمد ابن عاشور دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط.الأولى، سنة ١٤٢٢هـ.
٣٣ـ لسان العرب ــ لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر- بيروت، ط.الثالثة، سنة ١٤١٤هـ.
٣٤ـ مجاز القرآن ـ أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري (المتوفى: ٢٠٩هـ) ـ تحقيق: محمد فواد سزگين ـ الناشر: مكتبة الخانجى - القاهرة ـ الطبعة: ١٣٨١ هـ .
٣٥ـ مجموع الفتاوى: لشيخ الإسلام تقي الدين أبي العَباس أحمد بن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، سنة ١٤١٦هـ.
٣٦ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ـ أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط.الأولى، سنة ١٤٢٢هـ.
٣٧ـ مختار الصحاح: لزين الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية- بيروت، ط.الخامسة، سنة ١٤٢٠هـ.
٣٨ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل- أبو البركات عبد الله بن أحمد النسفي، تحقيق:

يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب- بيروت، ط.الأولى، سنة ١٤١٩هـ.
٣٩- مسند الإمام الدارمي - أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي - درسه وضبط نصوصه وحققها: الدكتور: مرزوق بن هياس آل مرزوق الزهراني - الناشر: (بدون ناشر) (طُبع على نفقة رجل الأعمال الشيخ جمعان بن حسن الزهراني) - الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م.
٤٠- مصطلحات في كتب العقائد - محمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد - الناشر: درا بن خزيمة - الطبعة: الأولى .
٤١- معالم التنزيل في تفسير القرآن: لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي -بيروت، ط.الأولى، سنة ١٤٢٠هـ.
٤٢- معاني القرآن معاني القرآن - أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: ٢٠٧هـ) - تحقيق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي - الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر - الطبعة: الأولى .
٤٣- معاني القرآن وإعرابه معاني القرآن وإعرابه - أبو إسحاق الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب- بيروت، ط.الأولى ١٤٠٨هـ .
٤٤- معجم مقاييس اللغة ـــ أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)
تحقيق: عبد السلام محمد هارون - الناشر: دار الفكر - عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٤٥- المفردات في غريب القرآن - أبو القاسم الراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط.الأولى، سنة ١٤١٢ هـ.
٤٦- مقدمة في أصول التفسير، شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية، دار مكتبة الحياة- بيروت، سنة ١٣٩٠هـ.
٤٧- مناهل العرفان في علوم القرآن - محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ) -الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه - الطبعة: الطبعة الثالثة .

٤٨ـ الموسوعة الفقهية الكويتية ـ صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت ـ عدد الأجزاء: ٤٥ جزءا.

٤٩ـ الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ـ أبو الحسن علي بن أحمد بن الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) ـ تحقيق: صفوان عدنان داوودي ـ دار النشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت ـ الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ .

٥٠ـ الوسيط في تفسير القرآن المجيد ـ أبو الحسن علي بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) ـ تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس ـ قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي ـ الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ـ الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤ م .